التربية الدامجة كآلية لمناهضة الإقصاء المدرسي وتحقيق تكافؤ الفرص
(حالة المملكة المغربية)

لبنى قهواجي
باحثة في التاريخ والتراث/ دكتوراه في التاريخ المعاصر والتراث / الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين، فاس–مكناس
المغرب

الملخص

تتناول هذه الدراسة موضوع التربية الدامجة باعتبارها آلية تربوية وحقوقية أساسية لمناهضة الإقصاء المدرسي وتحقيق تكافؤ الفرص داخل المنظومة التعليمية، مع اتخاذ المملكة المغربية نموذجًا للتحليل. وتنطلق من تشخيص مظاهر الإقصاء التي تعاني منها فئات واسعة من المتعلمين، خاصة الأطفال في وضعية إعاقة والفئات الاجتماعية الهشة، نتيجة عوامل بنيوية وبيداغوجية واجتماعية متداخلة. وتبرز الدراسة أن التربية الدامجة تمثل مقاربة شمولية تهدف إلى ضمان الحق في تعليم منصف وذي جودة للجميع، عبر تكييف المناهج وطرائق التدريس والبيئة المدرسية بما يستجيب لتنوع الحاجات والقدرات. كما تسلط الضوء على الجهود المبذولة في السياق المغربي لتكريس هذه المقاربة، وما تواجهه من تحديات مرتبطة بالتنزيل العملي، والتكوين، والموارد، والتمثلات الاجتماعية. وتخلص الدراسة إلى أن ترسيخ التربية الدامجة يشكل مدخلًا استراتيجيًا للحد من الإقصاء المدرسي وبناء مدرسة عادلة تسهم في تحقيق الاندماج الاجتماعي والتنمية المستدامة.

الكلمات المفتاحية: التربية الدامجة؛ الإقصاء المدرسي؛ تكافؤ الفرص؛ الفئات الهشة؛ المنظومة التعليمية؛ المغرب

Abstract:

This study examines **inclusive education** as a key educational and rights-based mechanism for combating school exclusion and achieving equal opportunities within the education system, taking the Kingdom of Morocco as a case study. It begins by identifying the various forms of school exclusion affecting large groups of learners, particularly children with disabilities and socially vulnerable groups, due to intertwined structural, pedagogical, and social factors. The study highlights inclusive education as a comprehensive approach aimed at ensuring equitable access to quality education for all learners by adapting curricula, teaching methods, and the school environment to diverse needs and abilities. It also sheds light on the efforts made in the Moroccan context to promote inclusive education, as well as the challenges related to implementation, teacher training, resources, and social perceptions. The study concludes that strengthening inclusive education constitutes a strategic pathway to reducing school exclusion and building a fair school system that fosters social inclusion and sustainable development.

Keywords: Inclusive Education – School Exclusion – Equal Opportunities – Vulnerable Groups – Education System – Morocco

مقدمة

يُعدّ الإقصاء المدرسي من الإشكالات البنيوية التي تواجه المنظومة التربوية، لما يترتب عنه من آثار اجتماعية واقتصادية وثقافية عميقة، تُسهم في تكريس الفوارق وعدم المساواة داخل المجتمع. ويتجلّى هذا الإقصاء بشكل خاص في صفوف التلاميذ ذوي الاحتياجات الخاصة والفئات الهشة، نتيجة عوامل متعددة من قبيل ضعف ملاءمة المناهج، وغياب التكييفات البيداغوجية، وهيمنة نموذج تعليمي موحد لا يستحضر التنوع والاختلاف بين المتعلمين. وفي ظل التحولات التي عرفها الفكر التربوي عالميًا، برزت التربية الدامجة باعتبارها مقاربة حديثة تقوم على مبدأ الإنصاف وتكافؤ الفرص، وتسعى إلى ضمان الحق في تعليم ذي جودة داخل المدرسة العادية، من خلال إدماج جميع المتعلمين، دون تمييز، في الفضاء المدرسي نفسه.

وفي السياق المغربي، أضحى مدخل التربية الدامجة خيارًا استراتيجيًا ضمن إصلاحات المنظومة التربوية، استجابة للالتزامات الدستورية والتوجهات الدولية الداعية إلى تعميم التعليم وضمان جودته. وقد تم إدراج هذا المدخل في عدد من الوثائق الرسمية، بهدف الحد من الإقصاء المدرسي وبناء مدرسة منصفة ومنفتحة على التعدد والاختلاف. انطلاقًا من ذلك، يهدف هذا المقال إلى إبراز دور التربية الدامجة كآلية لمناهضة الإقصاء المدرسي وتحقيق تكافؤ الفرص التعليمية، مع التركيز على حالة المملكة المغربية، من خلال تحليل مرتكزاتها النظرية واستحضار رهانات تفعيلها داخل المدرسة العمومية.

أهمية الدراسة

تكتسي هذه الدراسة أهمية خاصة؛ لكونها تسلط الضوء على التربية الدامجة باعتبارها مقاربة أساسية لمناهضة الإقصاء المدرسي وتحقيق تكافؤ الفرص داخل المنظومة التربوية المغربية، خاصة لفائدة الأطفال في وضعية إعاقة والفئات الهشة. كما تُسهم في تقييم واقع تنزيل هذه المقاربة ورصد الإكراهات التي تحد من فعاليتها، بما يدعم الجهود الرامية إلى بناء مدرسة منصفة وشاملة.

إشكالات الدراسة

- ما المقصود بالتربية الدامجة، وما مرتكزاتها البيداغوجية والتنظيمية داخل المنظومة التربوية المغربية؟
- ما واقع تنزيل التربية الدامجة بالمؤسسات التعليمية بالمغرب، خاصة فيما يتعلق بإدماج الأطفال في وضعية إعاقة والفئات الهشة؟
- ما أدوار الفاعلين التربويين (المدرس، الإدارة، الأسرة، المجتمع المدني) في تفعيل المقاربة الدامجة؟
- ما الإكراهات البنيوية والبيداغوجية والاجتماعية التي تعيق تفعيل التربية الدامجة؟

أولا– الإطار المفاهيمي والمرجعي للتربية الدامجة والإعاقة بالمغرب

1– مفهوم التربية الدامجة

تُعدّ التربية الدامجة (Inclusive Education) مقاربة تربوية وحقوقية حديثة تقوم على تكريس حق جميع المتعلمات والمتعلمين في تعليم ذي جودة، يستجيب لحاجاتهم المتنوعة في التعلم، ويُثري مسارهم الدراسي والإنساني دون أي شكل من أشكال التمييز. وانطلاقًا من استهدافها للفئات الهشة، تسعى هذه المقاربة إلى تنمية القدرات الكاملة لكل الأفراد داخل الفضاء المدرسي، بما يعزز إدماجهم الفعلي في المجتمع. وتتمثل غايتها الأساسية في محاربة الإقصاء وترسيخ قيم الإنصاف والتماسك الاجتماعي، باعتبار المدرسة مجالًا لبناء المواطنة والعدالة الاجتماعية. ولا تقتصر التربية الدامجة على إدماج الأطفال في وضعية إعاقة فحسب، بل تشمل أيضًا كل المتعلمين الذين يعيشون أوضاع

هشاشة اجتماعية أو اقتصادية، إذ تعتمد نظامًا تربويًا شاملًا يراعي تنوع الحاجات والخصوصيات، ويعمل على تحسين شروط التعليم والتعلم للجميع عبر تكييف المناهج وطرائق التدريس والبيئة المدرسية[1] بما يضمن مشاركة متكافئة وفعالة لكل المتعلمين.

2- تعريف الإعاقة " وبعض أنواعها.

تُعرّف الإعاقة لغويا من عوّق عن كذا إعاقة أي حبسه عنه وصرفه وبابه قال وكذا (أعتاقه) و(عوائق الدهر) الشواغل من أحداثه، والتعوّق التثبط، والتعويق التثبيط [2]، أما منظمة الصحة العالمية، فقد عرفت الإعاقة على أنها" حالة من القصور أو الخلل في القدرات الجسدية أو الذهنية ترجع إلى عوامل وراثية أو بيئية تعيق الفرد عن تعلم بعض الأنشطة التي يقوم بها الفرد السليم المشابه في السن" ، واصطلاحا يعتبر كل فرد عاجز عن تنفيذ واجباته او وظائف عادية معاقا[3].

انطلاقا مما سلف، نستشف أن الشخص المعاق هو الفرد الذي تعوقه أسباب بدنية وحسية أو فكرية عن إشباع حاجاته واستكمال تعليمه بالطرق العادية في التربية، وأنه فرد نقصت إمكانياته للعمل لحد كبير لعجز جسمي أو عقلي، أن الإعاقة تشمل كل إنسان غير قادر على مزاولة عمله أو القيام بمهارات حياتية نتيجة عجز خلقي أو عقلي أو حسي أو حركي منذ الولادة، وعليه يمكن تصنيف أنواعها كما يلي – على سبيل المثال لا الحصر-:

- ✓ الإعاقة الحسية Sensory Disability (مثل كف البصر Blindness، الصم والبكم Deafness، عيوب النطق والكلام)
- ✓ الإعاقة الجسمية Physical Disability وقد تكون حركية Motor Disability(مثل المقعدين، والأقزام، ومبتوري الأطراف، وشلل الأطفال، والشلل الدماغي) أو مرضية مثل (السرطان، القلب، السكر، السل، الفشل الكلوي).
- ✓ الإعاقة النفسية (وهم الذين يعانون من أمراض نفسية مثل (الخوف، المرض، والقلق المرضي، والهوس).
- ✓ الإعاقة العقلية التي تم التعرف عليها حديثا إعاقة التوحد Austismوالتي تحدث نتيجة خلل وظيفي في المخ قبل او بعد الولادة المباشرة.
- ✓ الإعاقة الاجتماعية Social Disability وهي لفئات التي تعاني من عدم قدرتهم على التوافق الاجتماعي مع بيئاتهم ويمارسون سلوكيات منحرفة مثل الأحداث الجانحين والمنحرفين الكبار ونزلاء السجون والمدمنين ويضيف البعض إلى هذه الإعاقة جماعات أقلية (نظرا لتعرضهم للتميز العنصري، وفئة المسنين بوصفهم فئات غالبا ما تكون هامشية في المجتمع وتعاني من بعض المشكلات في تفاعلاتهم الاجتماعية مع الاخرين[4].

ثانيا- دور التربية الدامجة في مناهضة الإقصاء المدرسي

تسهم التربية الدامجة في مناهضة الإقصاء المدرسي من خلال إرساء تعليم منصف وشامل يستجيب لتنوع المتعلمين واختلاف حاجاتهم، عبر تكييف المناهج وطرائق التدريس والتقويم وآليات الدعم التربوي، بما يضمن تكافؤ الفرص داخل الفضاء المدرسي. كما تعمل على ترسيخ قيم الإنصاف والمساواة وقبول الاختلاف، والحد من الصور النمطية والوصم المرتبطين بالإعاقة أو التعثر الدراسي، الأمر الذي يعزز دافعية المتعلمين وثقتهم بأنفسهم ويقوي شعورهم بالانتماء إلى المدرسة[5]. وفي هذا الإطار، تبرز المدرسة الدامجة كنموذج مؤسساتي مؤهل من حيث البنيات التحتية والولوجيات والموارد البشرية والوسائل الديدكتيكية، يهدف إلى إدماج الأطفال في وضعية إعاقة داخل الأقسام العادية وتمكينهم من التمدرس إلى جانب أقرانهم في إطار يحترم خصوصياتهم ويكفل حقهم في تعليم ذي جودة، مما يجعل التربية الدامجة رافعة أساسية لبناء مدرسة شاملة ومنصفة.

وتقوم التربية الدامجة على مجموعة من الأسس المتكاملة التي تشكّل الإطار المنظم لتنزيلها داخل المنظومة التربوية. ويأتي في مقدمة هذه الأسس:

- تيسير إجراءات التمدرس عبر تبسيط المساطر الإدارية المرتبطة بالتسجيل.
- ضمان الحق في مقعد دراسي، إلى جانب توفير الولوجيات والبنيات التحتية والشروط اللوجستيكية والوسائل الديدكتيكية الملائمة، بما يهيئ بيئة مدرسية دامجة تدعم استمرارية المتعلمين داخل المدرسة.
- إرساء مشروع المؤسسة الدامجة باعتباره إطارًا استراتيجيًا وتشاركيًا، يُبنى بإشراك مختلف الفاعلين والمتدخلين، من إدارة تربوية وهيئة تفتيش ومدير المؤسسة، إلى المدرسين والفريق الطبي وشبه الطبي وجمعيات الآباء والمجتمع المدني[6]، بما يضمن تنسيق الجهود وتكامل الأدوار خدمةً لمصلحة المتعلم.

يُعد اعتماد صيغ تقويمية وتتبعية ملائمة لمسار تمدرس الأطفال في وضعية إعاقة من الدعائم الأساسية للتربية الدامجة، إذ يتم اللجوء إلى تقويم تكويني ومرن يراعي خصوصيات المتعلمين، ويُمكّن من رصد مستويات تقدمهم وتشخيص تعثراتهم الدراسية والنفسية والاجتماعية، واقتراح تدخلات تربوية وبيداغوجية مناسبة في الزمن التربوي الملائم، بعيدًا عن منطق التقويم الإقصائي. كما تقوم التربية الدامجة على تفعيل الآليات التربوية والبيداغوجية الداعمة للدمج المدرسي داخل مشاريع الأقسام والمشاريع الفردية، من خلال تكييف برامج ومضامين التعلمات وطرائق التدريس وفق الفروق الفردية وإيقاعات التعلم المختلفة[7]، بما يعزز المشاركة الفعلية داخل الفصل الدراسي ويحد من التعثر الدراسي.

وفي هذا السياق، يندرج تطور التربية الدامجة ضمن مسار تاريخي عرف أنماطًا متباينة من التربية، بدءًا بالتربية العادية التي لم تُولِ اهتمامًا كافيًا للأطفال في وضعية إعاقة، مرورًا بالتربية الخاصة التي خصصت لهم فضاءات منفصلة، ثم التربية الإدماجية التي سمحت بولوجهم إلى المدرسة العادية مع مطالبتهم بالتكيف مع أنظمتها، وصولًا إلى التربية الدامجة[8]. التي سعت إلى تجاوز هذه المقاربات من خلال بناء تصور جديد للاشتغال داخل فصل دراسي عادي يستوعب التنوع ويجعله عنصرًا بنيويًا في العملية التعليمية.

تتجلى أهمية التربية الدامجة، أخيرًا، في بعدها الاجتماعي والإنساني العميق، إذ لا تقتصر على معالجة التعثرات الدراسية، بل تُسهم في إعادة بناء العلاقات داخل الفضاء المدرسي على أساس قيم الإنصاف والمساواة واحترام الاختلاف. فهي تفكك التمثلات السلبية المرتبطة بالفشل أو الإعاقة أو الهشاشة الاجتماعية، وتجعل من الاختلاف عنصرًا طبيعيًا في سيرورة التعلم لا سببًا للإقصاء. ويُعد شعور المتعلم بالقبول والاعتراف داخل المؤسسة التعليمية عاملًا حاسمًا في تعزيز ثقته بذاته ودافعيته للتعلم، كما يحدّ من السلوكات الانسحابية التي غالبًا ما تشكل مؤشرات أولية للهدر والإقصاء المدرسي[9]. وعليه، تشكّل التربية الدامجة رافعة استراتيجية لبناء مدرسة منصفة وشاملة، قادرة على مواجهة مختلف أشكال الإقصاء المدرسي، وإحداث تحول عميق في الثقافة المدرسية والممارسات البيداغوجية، بما يضمن الحق في التعليم للجميع ويُسهم في تحقيق العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص.

ثالثا– أدوار بعض الفاعلين التربويين وشروط نجاح المؤسسة الدامجة

- **المدرّس(ة)**

يُعدّ المدرّس الفاعل الأساس في تنزيل المقاربة الدامجة داخل الفصل، من خلال تكييف طرائق التدريس والتقويم وفق الفروق الفردية. كما يساهم في رصد صعوبات التعلم والتدخل المبكر لمعالجتها[10]. ويعمل على إرساء مناخ صفي قائم على الاحترام وقبول الاختلاف ونبذ التمييز.

- **الإدارة التربوية**

تسهر الإدارة التربوية على توفير الشروط التنظيمية والمؤسساتية للتربية الدامجة داخل المؤسسة التعليمية. وتدعم مبادرات الإدماج عبر ضمان الولوجيات وتتبع وضعيات المتعلمين في وضعية هشاشة أو إعاقة[11]. كما تساهم في ترسيخ ثقافة مدرسية دامجة قائمة على الإنصاف وتكافؤ الفرص.

- **المفتش التربوي:**

يضطلع المفتش التربوي بدور تأطيري يتمثل في مواكبة المدرسين بيداغوجيًا في تنزيل المقاربة الدامجة. ويتولى تتبع الممارسات الصفية وتقويمها واقتراح سبل تطويرها. كما يساهم في تحسين جودة التعلمات من خلال دعم الممارسات التربوية الداعمة للإدماج.

ومن أبرز شروط نجاح المؤسسة الدامجة توافر مجموعة من الشروط المتكاملة، التنظيمية والبيداغوجية والثقافية، يمكن إجمالها فيما يلي على سبيل المثال لا الحصر:

- يقتضي نجاح المؤسسة الدامجة وضوح المرجعيات القانونية والتنظيمية المؤطرة للتربية الدامجة، وتفعيلها ميدانيًا بما يضمن الحق في التمدرس دون تمييز، مع توفير آليات للتنسيق بين مختلف المتدخلين.
- يشكل تكوين الأطر التربوية والإدارية شرطًا حاسمًا، من خلال تمكينهم من كفايات بيداغوجية ونفسية مرتبطة بتدبير الفروق الفردية وصعوبات التعلم، وتعزيز ثقافة التقويم الداعم بدل الإقصائي.
- تتطلب المؤسسة الدامجة فضاءات مدرسية مهيأة تضمن الولوجيات، ووسائل ديدكتيكية ملائمة، وتجهيزات داعمة تمكّن جميع المتعلمين، بمن فيهم الأطفال في وضعية إعاقة، من التعلم في ظروف متكافئة.
- ينجح المشروع الدامج حين يقوم على حكامة تشاركية، تُشرك الإدارة التربوية والمدرسين والأسر والمجتمع المدني، وتُنسق بين الأدوار والمسؤوليات لخدمة مصلحة المتعلم.
- يعتمد نجاح المؤسسة الدامجة على تكييف المناهج وطرائق التدريس والتقويم، واعتماد بيداغوجيات نشيطة وداعمة تراعي إيقاعات التعلم المختلفة، وتحد من التعثر والهدر المدرسي.

خاتمة

تُعدّ التربية الدامجة آلية محورية لمناهضة الإقصاء المدرسي وتحقيق تكافؤ الفرص داخل المنظومة التربوية المغربية، لما تتيحه من إمكانات لإدماج جميع المتعلمين، على اختلاف أوضاعهم وحاجاتهم، في تعليم قائم على الإنصاف والعدالة التربوية. غير أن تفعيل هذه المقاربة يظل مشروطًا بتوفر إرادة سياسية قوية تُترجم إلى سياسات عمومية واضحة، ودعم مؤسساتي متواصل يضمن توفير الموارد الضرورية، إلى جانب تأهيل فعّال للمربين يمكّنهم من امتلاك الكفايات البيداغوجية اللازمة لتدبير الفروق الفردية ومواكبة التعلمات داخل الفصول الدراسية الدامجة.

ولا يكتمل نجاح التربية الدامجة دون مشاركة مجتمعية حقيقية تنخرط فيها الأسر والمجتمع المدني والفاعلون المحليون، بما يسهم في تغيير التمثلات السلبية المرتبطة بالإعاقة أو التعثر الدراسي، ويعزز ثقافة القبول بالاختلاف داخل المدرسة والمجتمع. ومن ثم، فإن الانتقال من التربية التقليدية إلى التربية الدامجة لا يمثل إصلاحًا جزئيًا أو ظرفيًا، بل يُجسّد تحولًا ثقافيًا وتربويًا شاملاً يؤسس لمدرسة منصفة، قادرة على تمكين كل متعلم من تحقيق إمكاناته، وتكريس حقه في تعليم لائق يضمن الكرامة والاندماج الاجتماعي.

الهوامش:

[1] - UNESCO, 2010. **Handicap International**, in TESSA. Un guide pour la formation des enseignants en éducation inclusive au Togo, 2015, p.12.

[2]- محمد ابن ابي بكر الرازي، مختار **الصحاح**، المكتبة العصرية، ط 2، لبنان، 1986، ص.194.

[3] - Norbert Sillamy, **Dictionnaire de la psychologie**, Larousse, Paris,1991, p.142.

[4] - مدحت محمد أبو النصر . **الإعاقة والمعاق رؤية حديثة**، المجموعة العربية للتدريب والنشر، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، 2009، ص.44-46.

[5]- الكنوني رشيد، التنشئة الاجتماعية للطفل المعاق: دراسة نفسية-اجتماعية لقضايا الاندماج، **سلسلة دراسات وابحاث4**، منشورات فكر، الرباط، المغرب، 2007، ص.162-163.

[6]بنسالم، عبد الله. **التربية الدامجة: الأسس النظرية والممارسات التطبيقية**. الرباط: دار الأمان، 2018، ص.23-25.

[7]- **وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي،2019**، الإطار المرجعي للتربية الدامجة لفائدة الأطفال في وضعية إعاقة، مديرية المناهج، الرباط، المغرب، ص.32.

[8]- وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي، التربية الدامجة لفائدة الأطفال في وضعية إعاقة، دليل مديري المؤسسات التعليمية، مديرية المناهج، الرباط، المغرب،2019، ص .45-46

[9]- نفسه،

[10]- نفسه، ص.29-37.

[11]- وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي، **التربية الدامجة لفائدة الأطفال في وضعية إعاقة، دليل مديري المؤسسات التعليمية**، مديرية المناهج، م. س، ص.ص. .39-83